**المحاضرة العاشرة:**

**جون سكون أريجين، أول فيلسوف مسحيي في المرحلة المدرسية.**

**1-حياة ومؤلفات جون سكوت أريجين:**

إذا كان ألكوين رائد النهضة الكارولينجية على الصعيدين الأدبي والنحوي فإن جون سكوت أرجين Erigène Jean Scotهو رائد النهضة الفلسفية. يعد أورجين أول فيلسوف مدرسي في العصور الوسطى ومن أشهر الفلاسفة في القرن التاسع ميلادي. ولد في ارلندا حوالي 810 وتوفي سنة 877م، تلقى تعليمه الأولي في أحد أديرة ارلندا، تعلم هناك اللغة اليونانية وكان من القلة الذين يتقنونها. لما بلغ الثلاثينات من عمره رحل إلى فرنسا قاصدا بلاط شارل الأصلع Charles le chauveحيث تقلد منصبا هاما في مدرسة البلاط وهناك نال شهرة واسعة. في 858 وبفضل اتقانه للغة اليونانية أوكل إليه شارل الأصلع مهمة ترجمة كتب القديس جريجور النيصي وكتب دنيس المنحول ولم يكتفي بترجمتها وإنما أيضا عمل شرحها والتعليق عليها، كما قدم تعليقات على انجيل يوحنا وكتاب عزاء الفلسفة لبوثيوس

في بلاط الملاك انخرط في جدال حول القدر والمشيئة الذي أثاره جوتشالك وخصومه، فدعاه أحد الأساقفة للخوض في المسألة، وكنتيجة لذلك ألف كتابه "القدر" الذي قدم فيه رؤية جريئة وصادمة (حتى للذين استدعوه) لما كان متعارفا آنذاك حيث أبان عن نزعة عقلانية جريئة في المسألة مما أثار ضده شبهات تشكك في إيمانه. بين عامية 862-866م كتب أورجين أهم أعماله الفلسفية "أقسام الطبيعة" ومن خلاله نال شهرة كبيرة في عصره وبفضله خلد التاريخ اسمه.

**2-في علاقة العقل والإيمان:**

لا يجد أورجين أي تعارض بين الفلسفة والدين أو بين العقل والايمان، حيث يعتبر أن الفلسفة الحقيقية ما هي إلا دين وما الدين الحقيقي إلا فلسفة، فلا اختلاف بين الدين والفلسفة لأن مصدرهما واحد. وقد جعل أورجين للفلسفة مهمة دينية تتمثل في تحقيق الخلاص حيث يقول في أحد شرحاته" لا يدخل أحد السماء، ما لم يكن ذلك عن طريق الفلسفة". وإذا كان الوحي جاء بحقائق ايمانية فإن دور العقل هو توضيحها وفهمها، ويقدم رأيا جريئا بخصوص أولوية العقل والنقل حيث يعتبر أنه إذا كان هناك تعارض بينهما فإن الأولوية للعقل، وأما بخصوص تعاليم رجال الكنيسة فإن ينبغي على المؤمن إتباعها مادامت هذه الأخيرة متوافقة مع ما جاء به الوحي كما ذهب إلى أن العديد من الأمور الموجودة في الكتاب المقدس لا ينبغي أخذها على ظاهرها بل فهمها فهما مجازيا مثل وجود آدم في الجنة، وأكله التفاحة وغيرها لأن الأخذ الحرفي بظاهر النص لا يستقيم مع الفهم العقلي.

**3-الطبيعة وأقسامها:**

في كتاب أقسام الطبيعة يقسم أورجين الطبيعة إلى أربعة أقسام[[1]](#footnote-1)\*:

1. الطبيعة التي تخلق وليست مخلوقة( الله كعلة أولى لكل الأشياء).
2. الطبيعة المخلوقة والتي تخلق( الأفكار الأولى، والعلل أو الأسباب الأولية لكل الأشياء).
3. الطبيعة المخلوقة والتي لا تخلق (الكائنات الخاضعة للتوالد في المكان والزمان).
4. الطبيعة التي لا تخلق وليست مخلوقة (الله من حيث هو غاية قصوى لكل الاشياء).

يمكن الجمع بين الحد الأول الأخير من حيث أنهما بشيران كلاهما إلى واقعة واحدة هي الله، أما الثاني والثالث فكلاهما يشيران إلى المخلوقات، وبعد عملية الجمع الأولى يقوم بعملية جمع أخرى بين الله والمخلوقات ليصبح الله والمخلوقات واحد، ولما كان الله هو خالق الاشياء، والعلة يمكن ادراكها من خلال نتائجها، فإن الله يتجلى بطريقة أو بأخرى في خلقه، هذا التجلي والانكشاف من خلال المخلوقات يحيل إلى أن الله موجود في الأشياء أو لنقل أن الأشياء الموجودة تكشف عن الاله الخفي، وبهذا فإن التعدد في المخلوقات أصبح يحيل إلى الوحدة ممثلة في الله، هذه الوحدة في الوجود هي ما يعبر عنه بالحيلولة أي أن الله حال في المخلوقات (في الطبيعة).

فكرة الحيلولة التي طرحها جون سكوت أورجين، أو فُهم من قبل الدارسين على أنه يقول بالحيلولة، تحتاج إلى توضيح لأن هذه الفكرة ذاتها تتعارض مع الكتاب المقدس الذي يؤكد على تسامي الله عن المخلوقات فكيف السبيل إلى فك هذا التعارض؟ لفهم موقف أوريجين في هذه الفكرة ينبغي أن ندرك أن تحليلاته قائمة على الديالكتيك النازل والصاعد، ففي حالة النزول تبدو المخلوقات متعدة ومفارقة لله الواحد، أما في حالة الصعود فإن الانقسام والتعدد يقود إلى الوحدة. إن فكر أورجين يتخذ شكل حلزوني، فالذي يمارس التفكير في أقسام الطبيعة كمن يصعد وينزل برجا حلزونيا فكلما نزل يكتشف التعدد والانقسام وكلما صعد يكتشف الوحدة.

إذا كان أورجين قد أبان عن نزعة أفلاطونية في فكره الجدلي فإنه أيضا كان مطلعا على أفكار أرسطو وبالخصوص المتعلقة بالمنطق حيث رفض تطبيق مقولات أرسطو العشر على الله لأنها مقولات تتعلق فقط بالمخلوقات المادية مثل الحجم والطول العرض وغيرها، حتى صفة الجوهر لا يمكن اطلاقها على لذات الالهية لأن الله غير متحدد.

4- **نظام المعرفة: الجدل النازل والصاعد:**

يعتبر أورجين أن التفكير الانساني يسير وفق منطق ديالكتيكي يشتغل وفق حركتين: ينطلق من الوحدة إلى التعدد، ومن التعدد إلى الوحدة، الأول هو ما يعبر عنه بالجدل النازل الذي يوضح كيف تنبثق الأجناس من الوحدة والأنواع من الأجناس والأفراد من الأنواع، والثاني بالجدل الصاعد والذي ينطلق من التعدد والأمور الجزئية إلى أن تصل إلى الوحدة مرورا بالأنواع والأجناس. هذا التقسيم هو ما نجده في تصنيفه لأقسام الطبيعة. ووفق المنطق الديالكتيكي يفسر أوريجين عملية الخلق. لنأخذ مثال الإنسان في ذلك: يعتبر أن الإنسان خلق من كلمة الله والكلمة تشمل كل العلل الأولى للأشياء، ونتيجة الخطيئة انتقم الانسان إلى ذكر وأنثى، وإلى نفس وجسد، أما النفس فتنقسم إلى ثلاثة مراتب قمتها تتمثل في الفكر (الناوس) الذي يتأمل الله دون أن يبلغ إدراكه ماهيته، والثانية تتمثل في العقل (لوغوس) الذي يتأمل في العلل الأولية للأشياء أما المرتبة الثالثة فيسميها الذاكرة وأحيانا بالحس الداخلي التي تتأمل في آثار العلل الأولية. إن مصدر هذه الأقانيم الثالثة للنفس هي نتيجة خلق داخلي فتأمل الفكر لذاته تولد العقل ومن تأمل العقل للفكر تولدت من الفكر الذاكرة، ومن النفس خلق الجسد. هذا فيما يتعلق بالجدل النازل، وفي الجدل الصاعد يسلك الجسد بعد الموت والبعث الطريق الذي صدر منه، حيث يعود الجسد روحا، والروح تعود إلى أصلها ممثلة في أسبابها الأولية وهذه الأخيرة تعود بدورها إلى خالقها.

**5-في مسألة القدر:**

كتب أورجين في مسألة الحرية والقدر كتابا سماه " القدر" حينما انخرط في النقاش الذي أثاره جوتشكالك الذي نفى عن الإنسان الحرية في افعاله لأن الحرية تتعارض مع العلم الأزلي لله، ولأنها تتعارض أيضا مع فكرة أن الله ثابت لا يتغير لأن الحرية تعني التغير في علم الله. ومن هذا المنطلق نفى جوتشالك عن الإنسان الحرية. وذهب إلى القول أن الأخيار والأشرار قدر لهم أن يكونا كذلك منذ الأزل. أما رأي اورجين في ذلك فهو أن يوافق الرأي القائل أن الله ثابت لا يطرأ عليه التغير، ولكن أيضا يعتبر أن الله خير ولا يمكن أن يصدره عنه الشر، ولا يمكن أن يكون الشر أزلي كأزلية الخير، إن مصدر الشر حسب أورجين هو انحراف الإرادة الانسانية التي في الأصل إرادة خيرة. وبذلك وفق أورجين بين حرية الارادة الإنسانية مع قضاء الله السابق، حيث لم يدقر الله أفعال الناس من حيث الشر وإنما فقط من حيث الخير.

لقد كان أورجين حسب رأي الدارسون جريئا في تحليلاته، وكان يفسر النصوص تفسيرا عقلانيا بحيث تتوافق مع آراء الأفلاطونية المحدثة. وكنتيجة لتأويل العقلانية للنصوص الدينية وتقسيماته ل"الطبيعة" ورأيه حول مسألة الحرية والقدر، تم التشكيك في ايمانه وولائه للكنيسة، فما كان للكنيسة سوى أن تقوم بحضر أفكاره وبالخصوص تلك التي أدرجها في كتابه "أقسام الطبيعة". لقد كان لأورجين تأثير كبير على الذين جاءوا بعده. وعلى ظهور النزعة العقلانية في الفلسفة المدرسية.

1. \* يعني من كلمة طبيعة جميع الأشياء الكائنة والاشياء غير الكائنة فما يمكن أدراكه بالحواس والعقل هي أشيئا كائنة وما يتعذر ادراكه فهي غير كائنة، الطبيعة لا تشير فقط إلى العالم الطبيعي وإنما أيضا العالم الالهي وما يحيط به. أنظر كتاب: تاريخ الفلسفة، المرجع السابق، ص 163. [↑](#footnote-ref-1)